

والكاف وكذلك نقل أهل اللغة وكان أبو عمرو والزاهد يقول الموكل قبة الملك فإن كان ذلك شيئاً قديماً سمعه فقد يجوز أن يكون جهل على أن هذا الموضع يقال له موكل وهو مقر مملكة القوم والذي يتهم به أبو عمرو يتخرج كثير منه على هذا النحو وكان قبة الملك تسمى موكلاً لأنه يقعد فيها ويكل أمره إلى الخدم والحشم وقدم هذه البلاد رجل من أهل نجران ممن يسكن في البادية فصيح ينتمي إلى زبيد من مذحج فسمع فتى في المكتب ينشد هذه القصيدة فلما انتهى بموكل كسر الكاف فقال النجراني موكل وكذلك حكاه أهل العلم.
وقال في كلامه على:

و كنا نرى بعض الندى بعد بعضه ... فلما انتجعناه دفعنا إلى الكلى

كان المتعلمون من أهل العلم ينكرون إدخال الألف واللام على كل وبعض وروى الأصمعي أنه قال كلاماً معناه قرأت آداب ابن المقفع فلم أر فيها لحناً إلا في موضع واحد وهو قوله: العلم أكبر من أن يحاط بكله فخذوا البعض وكان أبو علي الفارسي يزعم أن سيويه يميز إدخال الألف واللام على كل لا أنه لفظ بذلك ولكنه يستدل عليه بغيره والقياس يوجب دخول الألف واللام على كل وبعض وقد أنشد بعض الناس قول سحيم عند بني الححاش:

رأيت الغني والفقير كليهما ... إلى الموت يأتي الموت للكلى معددا

هذه نموذجات من كتاب عبث الوليد وقد وقع في ٩٤ ورقة وحوى فوائد لغوية وأدبية قلما يعثر عليها في الكتب المتداولة وقد جاء في آخره تم الإماء المعروف بعث الوليد وهذه السمة موقوفة بين أمرين أحدهما أن يراد بعث الوليد الذي هو البحجري والآخر أن يعني الوليد الذي هو الصبي وكون الرجل سمي بالوليد يحتمل هذه التسمية.

وصف الأسطول

كلما زهت طبيعة قطر وحف بضروب النعيم الصناعي والطبيعي تفتق ألسن أبنائه في وصفه والميل إلى رباعه ولذلك تجدد للشاميين في وصف إقليمهم من الأماديح ما لا تجده للعراقيين وما تجده للأندلسيين لا تراه لأدباء المصريين. والأندلس هي من البلاد التي زهت بنضرتها وتاهت بفطرتها ولذلك ترى شعراءها وكتابها أشبه بالأوروبيين في منحهم الأدبية لهذا العهد ينطقون بوصف ما تقع عليه أبصارهم وما كانت تقع إلا على أثر في الحضارة وشيء من العمران وإذا قد اضطرتهم الحال أن يخوضوا غمرات البحار كالفينيقيين أيام عزهم والبريطانيين في أيامنا كان لهم من أساطيلهم ما وصفه شعراؤهم فيما يلي.

قال ابن هانئ يصف الأسطول:

معطفة الأعناق نحو متونها ... كما نبهت أيدي الحواة الأفاعيا
 إذا ما وردنا الماء شوقاً لبرده ... صدرن ولم يشربن غرقى صواديا
 إذا أعملوا فيها المجاذيف سرعة ... يُرى عقرباً منها على الماء ماشيا
 وقال أبو عمرو يزيد بن عبد الله اللخمي الأشيلي الكاتب:
 ويا للجواري المنشآت وحسنها ... طواثر بين الماء والجو عوماً
 إذا نشرت في الجر أجنحة لها ... رأيت به روضاً ونوراً مكمما
 وإن لم تمجه الريح جاء مصالماً ... فمدت له كفاً خضيباً ومعصما
 مجاذف كالحيات مدت رؤوسها ... على وجل في الماء كي تروني الظما
 كما أسرعت عدداً أنامل حاسب ... بقبض وبسط ينسج العين وإنما
 هي الهدب في أجفان أكحل أوطف ... فهل صنعت من غندم أو بكت دما
 قال ابن الأبار وقد أجاد ما أراد في هذا الوصف وإن نظر إلى قول أبي عبد الله ابن
 الحداد يصف أسطول المعتصم بن صمادح:

هام صرف الردى بمهام الأعادي ... إن سميت نحوهم لها أجياد
 وتراءت بشرعها كعيون ... أبما مثل خائفها سهاد
 ذات هدب من المخاذيف حال ... هدب باك لدمعه إسعاد
 حم فوقها من البيض نار ... كل من أرسلت عليه رماد
 ومن الخط في يدي كل رد ... ألف خطها على البحر صاد
 قال ومن حسن قول شيخنا أبي الحسن بن حريق في هذا المعنى من قصيد أنشد فيه:
 وكأنا سكن الأراقم جوفها ... من عهد نوح خشية الطوفان
 فإذا رأين الماء يطفح نضفت ... من كل حرق حية بلسان
 قال ولم يسبقهم إلى الإحسان وإنما سبقهم بالزمان على بن محمد الإيادي التونسي في
 قوله:

شرعوا جوانبها بمخاذف أتعبت ... شادي الرياح لها ولما تعب
 تصاع من كذب كما نفر القطا ... طورا وتجمع اجتماع اليرب
 والبحر يجمع بينها فكأنه ... ليل يقرب عقرباً من عقرب
 وعلى جوانبها أسود خلافة ... تختال في عدد السلاح المذهب
 وكأنا البحر استعار بزيمهم ... ثوب الجمال من الربيع المعجب
 ومن هذه القصيدة الفريدة في ذكر الشراع:
 ولها جناح يستعار يطيرها ... طوع الرياح وراحة المتطرب
 يعلو بما حذب العباب مطارة ... في كل لج زاخر مغلولب
 يسمو بأخر ذي الهواء منصب ... عريان منسرح الذوابة شوذب
 يتزل الملاح منه ذوابة ... لو رام يركبها القطا لم يركب
 وكأنا رام استراقه مقعد ... للسمع إلا أنه لم يشهب

وكأنما جن ابن داود هم ... ركبوا جوانبها بأعنف مركب
سجروا جواهرهم بينهم فتقاذفوا ... منها بالسفن مارج متلهب
من كل مسجون الحريق إذا انبرى ... من سجنه أنضلت أنضلات الكركب
عريان يقدمه الدخان كأنه ... صبح بكر على ظلام غيب
ومن أولها: أعجب بأسطول الإمام محمد ... وبحسنه وزمانه المستغرب
ليست به الأمواج أحسن منظر ... يبدو لعين الناظر المعجب
من كل مشرفة على ما قابلت ... أشرف صدر الأجدل المنتصب
ومنها: جوفاء تحصر موكباً في جوفها ... يوم الرهان وتثقل بموكب
وقال أبو عمر القسطلي:

وحال الموج بين بني سبيل ... بطيرهم إلى الصوب ابن ما
أفر له جناح من سباح ... يرفرف فوق جناح من سماء
وأخذه إسحاق بن خفاجة فقال:

وجارية ركبت بها ظلاماً ... بطير من الصباح بما جناح
إذا الماء اطمأن ورق خصرأ ... علا من موجه ردف رداح
وقد فغر الحمام هناك فاه ... وأتلع جيده الأجل المتاح

قال المقرئ ولا يخفأك حسن هذه العبارة الصقيلة المرأة وقال ابن الأثير وقد قلت أنا
في ذلك:

يا حبذا من بنات الماء ساجحة ... تطفو لما سبَّ أهل النار تطفئه
تطيرها الريح غرباناً بأجنحة الحمام البيض للإشراك ترزؤه
من كل أدهم لا يلغى به جرب ... فما لراكبه بالقار يهنوه
يدعى غرباباً وللفتحاء سرعته ... وهو ابن ماء وللشاهين جوء جوءه

وقال عبد الجليل بن وهب يصف الأسطول:

يا حسنها يوماً شهدت زفافها ... بنت الفضاء إلى الخليج الأزرق
ورقاء كنت أيكة فتصورت ... لك كيف شئت من الحمام الأورق
حيث الغراب يجر شملة عجه ... وكأنه من غرة لم ينعق
من كل لابسة الشباب ملاءة ... حسب اقتدار الصانع المتأنق
شهدت لها الأعيان أن شواهدنا ... أسماؤها فتصفحت في المنطق
من كل ناشرة قوادم أجنح ... وعلى معاطفها وهادق سودق
زأرت زئير الأسد وهي صوامت ... وزحفن زحف مواكب في مازق
ومجادفٍ تحكي أرقام ربوة ... نزلت لتكرح من غدير متأنق
وقال القسطلبي في أسطول أنشأه المنصور بن أبي عامر من قصيدة:
تحمل منه البحر بحراً من القنا ... يروع بما أمواجه ويهول
بكل محالات الشراع كأنها ... وقد حملت أسد الحقائق غيل
إذا سابقت شأو الرياح تخيلت ... خيولاً مدى فرسان حيل
متحالب تزجها الرياح فإن وقت ... أطاقت بأجساد النعام فيول
ظباء فلاة ما لمن مفاحص ... وورق حمام ما لمن هديل
سواكن في أوطانن كأن سما ... بما الموج حيث الراسيات نزول
كما رفع الآل هودج بالضحى ... غداة استقلت بالخليط حول
أرقام تحوي نافع السم ما لها ... بما حملت دون العداة مقيل

العربية والتركية

أصبحت الأمة بعد سقوط دولة بني العباس بفتور غريب في العلم والآراء لما عايشته من أهويل الحروب والفتن. ولما قامت الدولة العثمانية فجمعت تحت لوائها الأقطار